نشأة الظاهرة البيبليوغرافية عند العرب:
مقاربة إبستمولوجية- تاريخية (الجزء الأول)*

مقدمة: إن العلامة المميزة خلال أهم مرحلة من تاريخ البيبليوغرافيا ومولدها في أوروبا[1]، كان يمثلها عن جدارة الباحث والوراق و"البيبليوغرافي" ورجل القانون والإجتماع البلجيكي: بول أوتلي Paul Otelet (1868–1944) الذي طرح سؤالا جوهريا لم يسبقه إليه الأوائل وهو: كيف يمكن تفسير ولادة البيبليوغرافيا في أوروبا خلال القرن 18– 19؟

إن أهمية هذا السؤال لا تكمن في الاجابات والإشكاليات والتصوّرات التي طرحها "أوتلي" بخصوص البيبليوغرافيا الأوروبية وحسب، بل فيما يمكن أن تُسهم به هذه التصورات والإجابات، بالنسبة إلينا لتفسير وشرح ميلاد وتطور البيبليوغرافيا عند المسلمين أوفي الثقافة العربية الإسلامية..

لقد تضمن كتابه الموسوم: TRAITE DE DOCUMENTOLOGIE ,LE LIVRE SUR LE LIVRE ,THEORIE ET PRATIQUE" أوما يمكن ترجمته إلى: "رسالة في التوثيق، الكتاب عن الكتاب، النظرية والتطبيق" الصّادر سنة 1934، الإجابة أو"الإجابات" الضرورية والكفيلة بتأسيس العلم من جديد. وراح في سبيل ذلك يستنطق التاريخ الثقافي الإنساني عامة، منذ ظهور الكتابة كشكل من أشكال الوعي بالعالم حتى ظهور الطباعة التي ساهمت الى حد بعيد في خلق الجوالعلمي الذي عرف خلال عصور الأنوار، وكان هذا الإكتشاف أي "الكتابة" ثورة، وضعت حدا فاصلا بين عصرين هما: عصر ما قبل التاريخ والعصر التاريخي، وكانت الطباعة واكتشافها بمثابة الخط الفاصل بين عصرين أيضا، هما عصر النهضة، والعصر الحديث...

أما الإطار المعرفي الذي تحكم في إجابات "أوتلي" وفرضياته أيضا، فقد كانت تمثله الخلفية الفلسفية والفكرية التي وضع أسسها الفيلسوف الفرنسي: "أوغست كونت" AUGUST CONTE (1798–1857) وقراءته للتّاريخ الإجتماعي والثقافي عامة، من خلال "قانون الحالات الثلاث" المعروف في الفلسفة الوضعية[2].ولم يكن "بول أوتلي" وحده متأثرا بما جاء في

*أ.د محمد صاحبي– قسم علم المكتبات– كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية– جامعة وهران

فلسفة كونت الوضعية، بل كانت هذه الأخيرة محكمة التأثير على فئة كبيرة من الدارسين والمؤرخين، حتى أصبحت تشكل بالنسبة إليهم، النظرية المثالية، التي يمكن من خلالها تفسير تكـــون الظـــاهرات الاجتماعية، بما في ذلك العلوم والفنون، بالانطلاق من فهم ظاهرة تشكل الوعي لدى الإنسان، منذ اللحظة الأولى التي بدأ فيها عملية التفكير.

غير أن "بول أوتليت" وبالرغم من قناعته بما جاء في ذلك, يخرج بقانون رباعي المراحل وليس ثلاثيـــا كما قرر "كونت"، ويؤكد بأن هذا الأمر (أي التقسيم) لا يناقض الأصل بل يشرحه أكثر.

أ– المرحلة الأولى وتتضمن تقنية الكتابة، من خطوط ومواد الكتابة. ومن ثم عملية إنتاج المخطوط.

ب– وتتضمن المرحلة الثانية، التدوين ونشأة المكتبات الأولى وعملية إنجاز الفهارس.

ج– أما الثالثة فتطابق مرحلة تحقيق وإنجاز البيليوغرافيات.

د– وهي المرحلة المتطورة التي عرفت، (وتعرف) مولـــد البيبليولوجيـــا بالمـــصطلح الفرنكوفـــوني أوالبيبليوغرافيا بالمصطلح الأنجلوساكسوني، أي دراسة التطور التاريخي والمادي للكتاب...

2– المرجعية والمصادر وأهميتهما:

لقد أضحت كتُب الطّبقات والأنساب والتراجم ومجمل ما صنفّه المسلمون في شتى علـــوم وفنـــون العربية يُشكل مرجعيات التراث العربي الإسلامي. وأهتم بها الدارسون على مختلف مشاربهم العلمية والإيديولوجية، قدامى ومُحدَثين، فقهاء وفلاسفة وغيرهم. وأطلقوا على ذلك مسميات عديدة منها "الأصول المنسوبة" و"الكتب الأمهات" بالنسبة للقدامى، والمصادر أو"الكتب المرجعيـــة" بالنـــسبة للمحدَثين لأنّها كتب تحوي أساسيات العلم وإشكالياته المتصلة بالمجتمع العربي الإسلامي.

ولم يكن اهتمام الدّارسين والمؤرخين بهذه المصادر منطلقا من كونها تدرس أوتؤرخ للنـــشاط الثقـــافي والعقلي عند المسلمين منذ بدء الرسالة المحمدية أوقبلها فحسب، بل كان الاهتمام منصبا أيضا حول مدى ارتباط ذلك، بالنظرية المعرفية الشاملة (الإبستمولوجية) التي كانت تتحكم في هـــذا التـــراث وقضاياه، والتي تسير وفقها نظم وأنساق التفكير عند العلماء والمثقفين العرب والمسلمين عامة.

فالمرجعية "العلمية" أوالمصادر أوتصانيف العلماء المسلمين في شتى مجـــالات النـــشاط العقلي والجمالي هي بالنسبة للدّارس الآنَ بمثابة المحطات الفكرية والعلمية والمنهجية التي تتوزع عبر المسافة الزمنية والتاريخية للفكر والعلم عند المسلمين، ويتسع مـــدلول هـــذه المحطـــات– المصادر ليشمل أيضا معلوماتنا وأفكارنا حول ذلك، أوبمعنى آخر وهوبمصطلح المحدثين، تحولت من كونها كتب الأوّلين من الأسلاف إلى مصدر أساسي من مصادر معلوماتنـــا حـــول ذلـــك

المجتمع الذي اتخذ من مكة والمدينة والبصرة والكوفة وبغداد والقاهرة وقرطبة والقيروان وتلمسان..مراكز تجل لإنجازاته وإبداعاته.

غير أنه وبموجب هذا المفهوم يجب الإقرار بأن هناك نوعا من الالتباس جعل من إمكانية التفريق بين المصادر أمرا صعب المنال عند كثير من المثقفين.

ولذلك يمكن الفصل بداءة بين نوعين من المصادر انطلاقا من طبيعة وأهمية ونوعية المعلومات التي تقدمها. أما النوع الأول فيتضمن كل ما درج على تسميته بالمراجع العربية القديمة[3]، أو"مرجعيات التراث العربي الإسلامي"، والتي هي نتيجة من نتائج النشاط العلمي والفكري والديني عند المسلمين منذ بداية توثيق المعلومة العلمية والدينية والأدبية، وتدخل بين طيّاتها المعاجم والكتب الموسوعية ومعاجم التراجم والسّير(التاريخ) والمؤلفات الفلسفية والأدبية والعلمية الأخرى، وما إلى ذلك من مؤلفات مثل معجم "العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي و"رسائل إخوان الصفا" و"تاريخ بغداد" للبغدادي، ومؤلفات الفارابي وابن سينا الفلسفية.. هذه المصادر التي لا يمكن لأي مشتغل في حقل الثقافة العربية الإسلامية من الاستغناء عنها، لأنها في تنوعها كما في تخصصها تميط اللثام عن أكبر حركة معرفية وعلمية شهدتها البشرية قبل الآن.

وأما النوع الثاني الذي يشمل أيضا "كتب مصدرية ومرجعية" من طراز آخر، فلا يقدم في الغالب معلومات علمية وتاريخية، دقيقة أومفصلة عن نشاط عقلي أودييني أوأدبي إلا بالقدر الذي تتطلبه طبيعة المصدر وهدفه.

ولذلك نجدها تهتم بالدرجة الأولى برصد الإنتاج العلمي والفكري وما إلى ذلك من كتب ومؤلفات مع ذكر لتراجم أصحابها أحيانا وتقديمها مرتبة على أحرف الهجاء كما هوالشأن بالنسبة إلى "الفهرست" لإبن النديم أو"كشف الظنون" لحاجي خليفة على سبيل المثال كما أن هناك في هذا النوع من المصادر توسعا واسطرادا يصل إلى حد التأليف في موضوعات بعينها كما هوالشأن بالنسبة لـ"صبح الأعشى في صناعة الإنشا" للقلقشندي.

وهنا يجب الإشارة إلى أن ذكر هذه الكتب بالذات وهي على سبيل المثال لا الحصر إنّما جاء للتأكيد على أنّها تُمثل كل على حدة، مرحلة متميزة من التاريخ الثقافي العربي الإسلامي , فالفهرست الذي هوأقدم وثيقة في هذا النوع، تؤرخ للحياة العقلية عند المسلمين وغيرهم ممن عاشوا تحت مظلة الحضارة العربية الإسلامية إلى غاية نهاية القرن الرابع الهجري تقريبا ولولاه

لما استطاع المشتغلون في حقل الأدب والتاريخ والفلسفة وغيرها، التعرف على أسماء الكتاب ومؤلفاتهم. والشيء ذاته يمكن أن يقال عن "كشف الظنون" الذي يعكس صورة من صور الحياة الفكرية العربية الإسلامية حتى القرن الحادي عشر الهجري.

أمّا القلقشندي الذي يتوسط العلمين فتكمن أهميته في أنه في "صبح الأعش" قد قدم موسوعة ضخمة في أربعة عشرة جزءا، سجل فيها الحياة الفكرية والسياسية والاجتماعية لمصر خلال القرون الوسطى (الإسلامية) ورصد من الأسماء والأعلام من مدن ومواضع جغرافية ومن المصطلحات، فضلا عن الوثائق والرسائل ما يجعلها من الكتب الهامة في هذا الميدان. ومن خلال ما تقدم، يمكن القول بأن هناك نوعين من المصادر والمراجع عند المسلمين يختلفان من حيث طبيعة تكوينهما ورصدهما للحقائق غير أنهما يتفقان من حيث الهدف وهوعملية إبلاغ أوتبليغ المعلومة العلمية و"التقنية" بمعنى أن النّوع الأوّل يدخل ضمن نتائج حركية الإبداع والإنجاز العلمين ويؤرخ لهما، في حين أن النّوع الثاني يقوم بتسجيل مجمل ما توصل إليه الإنتاج العلمي والمعرفي، بقصد تسهيل عملية الإطلاع والتوثيق، وبالتالي المساهمة في رصد وقراءة الظواهر المتحكمة في سير المنظومة الفكرية والثقافية بشكل عام.

وهنا، يجب القول من الناحية التاريخية "التطورية" والكرونولوجية بأنّه لا وجود للنوع الثاني بدون حضور وتواجد مكثف للأول. فالتضخم في الإنتاج المعرفي ممثلا في المؤلفات والرسائل هوالذي استدعى الكشف عن الوسيلة المنهجية للتعرف على ما سبق والتحكم فيه للخروج بنظرية معرفية عامة.

3– "فهرست ابن النديم" وتشكّل الظاهرة البيبليوغرافية ؟

إذا سُئل أي مثقف عربي عن أهم العصور الثقافية العربية الإسلامية، فلا شك أن إجابته ستكون بلا تردد: القرن الرّابع الهجري (العاشر الميلادي). والسبب الكامن وراء ذلك هوأنه العصر الّذي عرف بالإضافة إلى ازدهار كبير في التأليف، وكثرة في عدد المكتبات، قد عرف أيضا ظاهرة جديدة نشأت مع هذا التوزّع في التأليف والاختلاف في اتجاهاته، هي نزوع بعض العلماء نحوحصر تلك العلوم والتّعريف بها. وكان على رأس هؤلاء: الفارابي (339هـ)، الّذي ألّف كتابه "إحصاء العلوم" وتناول فيه علوم عصره فبوّبها وعرّف بها.

وفي أثر الفارابي، جاء الخوارزمي (محمد بن أحمد 387هـ)، الّذي كان في عمله هذا قريبا من عمل الفارابي. غير أنّ هذين العالَمين وقفا في كتابيهما عند هذا الإحصاء، يريدان أن يبيّنا منهج

كل علم وطبيعته وحدوده، ليفرّقا بين العلوم والعلماء[4]. ويبدوعلى أساس ذلك، أنّ الأرضية قد كانت مهيأة، للانتقال إلى نوع آخر من الحصر، هوالضبط البيبليوغرافي لما تمّ كتابته أوتأليفه، طيلة القرون الأربعة الهجرية الأولى من عُمر الثّقافة الإسلامية. وكان، لابدّ على من يتصدّى إلىذلك، أن يذكُر في ضوء هذا التقسيم أسماء العلماء موزّعين على ميادينهم العلمية ثمّ أسماء كتبهم مع التّعريف بها.

وكان هذا العبء الثاني، أي حصر المؤلفات والمؤلفين، أثقل من العبءالأوّل وأضخم منه، فالأمر مع الأوّل يكفيه علم، وهومع الثاني، يتطلّب إلى جانب العلم "استقصاء واسعا ونظرا كثيرا ورجوعا إلى الكتب إن وجدت، ثم رجوعا إلى فهارس المكتبات أوما يشبه الفهارس، وهذا الجهد لم يكن بالقليل في عصر لم تكن وسائل التّمكين من هذا كلّه هيّنة ميسورة..."[5].

وما دام الأمر هنا، يتعلّق بأوّل من فكّر في وضع مؤلّف في ذلك، وإنجازه مع الرّبع الأخير من القرن الرّابع الهجري، فلن يكون سوى محمد بن إسحاق بن النّديم الورّاق، الّذي، وإن استعان بفهارس بعض المكتبات التي انتشرت في عواصم الدّويلات والإمارات، وقوائم مؤلفات العلماء، فقد كان أوّل من ابتكر هذا العلم، الذي تطوّر بعده، وأُطلق عليه مصطلح علم البيبليوغرافيا، أوعلم الكتابة عن الكتب.

1– حصرالكتب قبل ابن النّديم:

أ– فهارس المكتبات: ليس من وراء الحديث عن حصر الكتب قبل ابن النّديم، التّقليل من شأن الرّجل ومجهوده المعتبر في بروز هذا العلم عند المسلمين ابتداء من القرن العاشر الميلادي (القرن الرّابع الهجري)، بقدر ما أنّ الهدف، هوإبراز أنّ فهارس المكتبات وقوائم مؤلفات العلماء، كانت بمثابة المظهر الجنيني لهذا العلم الجديد، سواء من حيث الشّكل والتّرتيب والتنسيق أومن حيث المضمون أيضا.

فالأمر الذي لا مراء فيه، هوأنّ فهارس المكتبات الإسلامية، قد وُجدت منذ العقد الأخير من القرن الثاني الهجري؛ فقد تحدّث الحسن بن سهل بأن خزانة الحكمة في بغداد كان لها فهرس في زمن الخليفة المأمون (198–218هـ).وروى ياقوت الحموي، عن أبي الحسن البيهقي أن فهارس مكتبة الصّاحب بن عبّاد المتوفى في384هـ، التي وقفها على مدينة الرّي بلغت عشر مجلدات كاملة[6].

كما روى المقرّي عن ابن حزم عن بكية الخصيّ الّذي كان على خزانة العلوم والكتب في قصر الخلافة الأموية بالأندلس في النّصف الثاني من القرن الرّابع الهجري، "أنّ عدد الفهارس التي فيها تسمية الكتب أربعة وأربعون فهرسة، في كل فهرسة عشرون ورقة ليس فيها إلاّ ذكر أسماء الدواوين لا غير"[7].

وروى المقدسي (المتوفّى سنة 380هـ) أنّه رأى خزانة كتب عضد الدّولة البويهي المتوفى سنة 372هـ، بشيراز، وأنّها كانت عبارة عن أزج طويل فيه خزائن طول كل منها قامة في عرض ثلاثة أذرع، لكل نوع بيوت وفهرستات فيها أسامي الكتب لا يدخلها إلاّ كل وجيه[8].

أمّا المقريزي، فقد سبق أن حدّثنا في خططه عن خزائن القصر الفاطمي بالقاهرة، حيث أُلصق على باب كل خزانة من خزائن كتبها فهرسا بمحتوياتها وكانت على شكل دفاتر وكراريس[9].

ب– فهارس العلماء والمترجمين:

ولقد كان ذلك أيضا دأب بعض جمّاعي الكتب والمخطوطات من الأمراء والأغنياء والعلماء، الّذين وضعوا هم أيضا فهارس لمكتباتهم، كما كان شأن أولئك الّذين تحدّث عنهم ابن النّديم بالموصل[9]. والأكيد أن أعداد هذه الفهارس– البيبليوغرافيات، كانت متخصّصة، أي في موضوعات محدّدة، أولشخص واحد؛ ولم تكن بذَات الُبعد الّذي نجده عند ابن النّديم. وتكاد تنقسم القوائم، الخاصة بالعلماء، والكتّاب والشّعراء، السّابقة على مؤَلف ابن النديم، إلى جزأين أساسيين: الجزء الأوّل، من ذكر مؤلفاته بنفسه، والجزء الثاني، من ذكر مؤلفات غيره..

وأحسن ما يمثل الجزء الأوّل، هوما نقله ابن النّديم نفسه، عن فهرست جابر بن حيّان المتوفى في 200هـ، الّذي يقول عنه: "له فهرست كبير يحتوي على جميع ما أُلّف في الصّنعة وغيرها، وله فهرست صغير يحتوي على ما ألفه في الصّنعة فقط.."[10]. ويذكر جُملا من كتبه، رآها وشاهدها الثقات؛ تفوق المائة كتابا بالنسبة الى الفهرست الكبير، والسّبعين كتابا بالنّسبة إلى الفهرست الصغير.

ويظهر من كلام ابن النّديم؛ أنه نقل هذه المؤلفات عن جابر بن حيّان، وأن ذلك ليس من عمل ابن النّديم، ويُؤيّد هذا الاعتقاد ما كتب ابن النّديم في العبارة التالية: "قال أبوموسى (جابر) ألّفت ثلاث مائة كتاب في الفلسفة، وألف وثلاثمائة كتاب في الحيَل، ثم ألّفت في الطّب كتابا عظيما، وألّفت كتبا صغارا وكبارا.."[11].

أما الطّريقة التي أورد بها ابن النّديم مؤلفات جابر بن حيان، تؤكد أنه ذكر مصنفات جابر بنفس ترتيبها في ذلك الفهرس.

ويتكرر هذا الأمر، مع الرازي أيضا[12] حيث ينقل فهرسا بقائمة كتبه، البالغة أكثر من المائة وخمسين، ما بين كتاب ورسالة، بعنوان: "ما صنّفه الرّازي من الكتب منقولة من فهرسته."[13].

كما يذكر ابن النّديم فهرسا أخر لشخص اسمه "عبدان" عند الحديث عن أسماء المُصنّفين الإسماعيلية وأسماء كتبهم، فقد ذكر منهم عبدان وقال: "ولعبدان فهرست يحتوي على ما صنّفه من الكتب، فمن ذلك، كتاب الرحا والدولاب، كتاب الحدود والإسناد، كتاب اللامع..."[14] الحقيقةأن قوائم المؤلفات أوالفهارس التي وضعها العلماء والكتّاب، هي من الكثرة والشيّوع، حتى أن المرء لا يستطيع الحديث عنها كلّها، فهي مبثوثة في كتاب الفهرست، كفهرست حنين ابن السحاق المترجم المشهور، وجالينوس الطّبيب اليوناني الأشهر، وابن حاجب النّعمان وغيرهم.

ولذلك فإن الأقرب إلى الصواب القول بأن المسلمين قبل القرن الرّابع الهجري، أي قبل ابن النديم ذاته، قد عرفوا شكلا من البيليوغرافيات التي تحصر المؤلفات العلمية والفنية عموما. وإنها كانت بمثابة القاعدة التي انطلق منها صاحب الفهرست. يقول فؤاد سزكين مؤكدا على ما نذهب إليه: "ويتضح من المعلومات الواردة به (الفهرست)، ومن المصادر المختلفة للمقالات أن العرب قد[15] اهتموا في وقت مبكر بتسجيل كتبهم المؤلفة وتصنيفها تصنيفا موضوعيا، بل وترتيبها إلى حد ما وفي معايير التأريخ للتراث. فبواكير تأليف كتب الأغاني إنّما ترجع مثلا إلى العصرَ الأموي. وكان اليعقوبي قد أرّخ في تاريخه لحركة التّرجمة من اليونانية إلى العربية، قبل أن يؤلف ابن النّديم كتابه بقرن كامل من الزمان.وقد أشار ابن النّديم نفسه إلى هذه الجهود التي اعتمد عليها، ورغم هذا يبقي جهده عظيما فهوصاحب أهم كتاب في تاريخ التراث العربي وأكثره شمولا"[16].

وعلى العموم فإن المتصفّح لفهرست ابن النديم، ولمقالاته العشر، قد يخرج بفكرة واضحة عن وجود مجهود سابق لعلماء وكتّاب بذلوا جَهدا معتبرا لوضع قوائم مؤلفات ومترجمات وخزائن عديدة، ولاسيما في القرنين الأخيرين قبل وفاة ابن النّديم ذاته.

2–ابن النديم وكتابه الفهرست:

يقول إبراهيم الابياري أحد أكبر المهتمين بالتراث العربي الإسلامي، عن عدم تواتر إسم ابن النّديم في كتب التّراجم وفهارس المؤلفين: "والغريب أنّ هذا الرّجل الّذي عُني بالكثيرين ممّن فاتوه أوعاصروه، لم يُعنَ به غير قليلين[61] ممّن عاصروه أولحقوه، ثمّ إن هؤلاء القليلين لم يذكروا إلا القليل)."[71]

هذا القليل الذي تناقلته المصادر الإسلامية، لا يسمح إلا بالتّعرف على إسمه، ومهنته، أمّا تاريخ ميلاده ووفاته، فمضطرب اضطراب من ترجموا له. أمّا إسمه فهو أبوالفرج محمد بن إسحاق ابن النّديم تارة، والنّديم تارة أخرى"[81].

والأعجب من ذلك، أنّ مؤلّف "تاريخ بغداد "، أقرب المؤرخين المشهورين إلى عصره، لم يُترجم لابن النّديم، بل إن القفطي (624هـ) صاحب تاريخ الحكماء، وابن خلّكان (631هـ) صاحب وفيّات الأعيان، ينقُلان عن ابن النّديم في مواضع عديدة ولكنّهما لم يُترجما له. وإنّما تحدث الأوّل عنه في كتابه: إنباه الرّواة على أنباه النُّحاة ,قال فيه: (..فممّن قال ذلك محمد بن إسحاق أبي يعقوب أبوالفرج المعروف بابن النّديم، وكان كثير البحث والتفتيش عن الأمورالقديمة، كثير الرّغبة في الكتب وجمعها وذكر أخبارها وأخبار مُصنّفيها ومعرفة خطوط المُتقدّمين...)"[91]. أما ياقوت الحموي، الذي كان ورّاقا أيضا، ومُهتمًا بالتّراجم، فلم يُترجم له إلا بأسطر قليلة لاتتعدّى الخمسة، ووصفه هوأيضا بالإطّلاع والاستيعاب، ولم يقطع بما نُسب إليه من مهنة حيث يقول: (ولا أبعدُ أن يكون قد كان ورّاقا يبيع الكتب)"[02].ثم يأتي بعدهما المؤرخ الشّهير شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذّهبي (748هـ) فلم يزد عمّا قاله ممّن سبقوه، حيث ذكر في الجزء المخصّص لحوادث ووفيّات 381–400هـ، انّه (محمد بن إسحاق النّديم البغدادي أبوالفرج الأخباري الأديب الشيعي المعتزلي، صاحب التصّانيف، فمن كتبه، كتاب الفهرست، وكتاب التّشبيهات والفهرست هوفي أخبار الأدباء، وذكر إنه صنّفه سنة سبعة سبعين وثلاث مائة ولا أعلم متى تُوفي وإنّما كتبته على التوهّم...)" [12].

أمّا الوحيد الذي تناول ترجمة ابن النّديم بشيء من التفصيل، فكان ابن حجر العسقلاني (852هـ) في لسان الميزان، ولكنه، بخلاف سابقيه، قد كال له الشتائم والتجريح، بسبب إتهامه بالتشيّع والاعتزال، بقوله: "..ولّما طالعت كتابه ظهر لي أنّه رافضي معتزلي، فإنّه يسمّي أهل السنة الحشوية ويسمّي الأشاعرة المُجبرة، ويسمّي كلّ من لم يكن شيعيا عاميا، وذكر في ترجمة "الشافعي" شيئا مختلفا ظاهرالافتراء، فممّا في كتابه من الإفتراء، ومن عجائبه أنّه وثق عبد المنعم بن إدريس والواقدي وإسحاق بن بشير وغيرهم من الكذّابين، وتكلّم في محمد بن إسحاق وأبي إسحاق الفزاري وغيرهما من الثقات...". [22]

ولعّل توهُّم بعض المؤرخين من أمثال ابن حجروغيره، حول تشيّعه واعتزاله، كان السّبب الجوهري في إهمال ترجمته عند لاحقيه ممّن اعتنوا بحياة الرّجال والأدباء، بل إن الفوضى حول تاريخ وفاته– هل هي سنة 380هـ كما قال أغلبية من ترجم له؟ أم هي 385هـ؟ كما صرّح بذلك ابن النجّار[32]، أم توفي بعد ذلك، كما قال ابن حجر العسقلاني؟ كانت من الأمور التي زادت الاختلاف حول حياة الرجل وكتابه.

أمّا عن التاريخ الّذي اقترحه ابن حجر، فيردّ مصطفى الشُويمي، أحد محققي كتاب الفهرست، "..لا يمكن اعتباره حجة قاطعة، لأن بعض نسخ الكتَاب وقعت فيها زيادات، وإضافات من طرف النُسّاخ أوالعلماء المتأخرين.."[42].

ويستدّل المحقّق في ذلك، بأن طبعة فلوجل للكتاب، قد تفرّدت بأشياء لا نجدها في مخطوطة شستربيتي، فنجد على سبيل المثال عند الكلام عن ابن جنيّ في الفن الثالث من المقالة الثانية مولده قبل الثلاثين وثلاثمائة وتوفي ليلة الجمعة من صفر سنة اثنين وتسعين وثلاثمائة..[52].

ولم يتوقف اختلاف الدّارسين والمترجمين حول تاريخ وفاة ابن النديم وحسب، بل تجاوزوا هذا الاختلاف إلى سبب تسميته بابن النّديم أوالنّديم[25]، غير أن الحقيقة الوحيدة فيما يخص ذلك كلّه، هي أنّه كان ورّاقا ببغداد، وأن أباه كان يُلقب بالنّديم، وأنّه كان شيعيا معتزليا.

أمّا عن تشيّعه، ومهما حاول بعض الدارسين نزع ذلك عنه[72]، إلاّ أنّ كل الدلائل تشير إلى ذلك، ومنها عبارات كثيرة من الكتاب، تنمّ عن احترام شديد للشّيعة مثل قوله عن سليم بن قيس الهلالي أنه:"من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام(..) وقال أبان في حديثه: وكان قيس شيخا له نور يعلوه.."[82].

وهو عندما يذكر عليا كرم الله وجهه، أوأيّا من أهل البيت يقول "عليه السلام" مثل قوله"كتاب الباقر محمد بن علي عليه السلام بن الحسين بن علي عليه السّلام.."[92] أوقوله" كان مخنف بن سليم (أبومخنف المؤرخ الشيعي) من أصحاب عليّ عليه السلام...".

أما عن الواقدي فيقول: "..وكان يتشيّع، حَسَن المذهب، يلزم التقية وهوالّذي روى أن عليّا عليه السّلام كان من معجزات النّبي صلى الله عليه وسلم كالعصى لموسى عليه السّلام وإحياء الموتى لعيسى بن مريم عليه السّلام، وغير ذلك من الأخبار..."

على أيّة حال، فإنّ ابن النّديم، لم يكن استثناء من حيث تشيّعُه، ولم يكن التّشيُع في العصر الذي عاش فيه، من الموبقات أوممّا يُنفّر، بل بالعكس، فإن أكبر ما كانت تمتاز به الحركة الفكرية في القرن الرّابع الهجري، ظهور مذهب الشّيعة، الذي كان يحمل بين ثناياه، الكثير من الأفكار الإسلامية، وان وطن الشّيعة بالعراق، آنذاك، كان بالبصرة والكوفة؛ بل إنّ شبه جز يرة العرب كلّها كانت شيعية، عدا المدن الكبرى مثل مكة وتهامه وصنعاء.."[03] ثم يقول هاملتن جبّ، عن بروز دور الشّيعة في النّسيج الاجتماعي والثقافي آنذاك: "وقد يدهشنا

أن نرى لأوّل وهلة أن عددا كبيرا من أشدّ الحركات والأشخاص نشاطا (علميا) في القرنين الثالث والرّابع كانوا ذوي ميول شيعية، وموضع الدّهشة أن التشيّع كان يتجلى في النّظام العقائدي المُنظّم، اكثر اتباعا وخضوعا لسلطان التعاليم من السّنة..[13].

أما عن اعتزال ابن النّديم، فذلك ممّا لا شك فيه، إذ ليس باستطاعة أيّ شخص، لا يملك ما يملكه ابن النديم من اتساع المدارك، ورحابة في الفكر، أن ينجز هذا العمل العلمي الضخم، القائم على نفاذ بصيرة، وشمولية في المعالجة.. وأكبر الظّن، أن كل ذلك كان بسبب اهتماماته العلمية والفكرية، التي اتخذ منها المعتزلة مطية لهم كذلك[23] والّذين كانوا قريبين جدا من الخليفة العباسي المأمون الذي يُكّن له ابن النّديم الاحترام والتّبجيل...

مصادر الفهرست: من الواضح أن مصادر الفهرست كانت عديدة ومتنوعة.

ويرجع هذا التنوّع إلى سببين جوهريين هما: اشتغاله بالوراقة التي لا شك فيها، وارتباطها بمعرفة الورّاق بالخطوط والأقلام وكافة أنواع الورق المتوفر، أوكل ما يمكن إدراجه ضمن النشاط التّقني للمهنة، من استنساخ للمخطوطات ودرايةواسعة بنشاط السوق وما إلى ذلك.

أمّا السّبب الثاني، والذي له علاقة أيضا بالوراقة، لكن من الناحية "الإعلامية" والفكرية والعلمية، فمرتبط بما كان لدُور الوراقة في الحياة الثّقافيةوالعلمية، حيث كانت كما تصوّرها المصادر شبه مراكز ونوادي علمية وثقافية، يلتقي فيها العلماء والكتّاب والشّعراء.

–المصدر الأول: الإحاطة بكل جديد بشأن الكتب، والبحث والتّفتيش عن كُتب الأوّلين والمخطوطات النّادرة، كقوله مثلا: "قرأت في بعض الكتب القديمة أن أوّل من كتب باللّغة العبرانية عامر بن شالخ" أو"وقرأت في بعض التواريخ القديمة.."[33].

المصدر الثاني: الاتصال بالنّاس وسؤالهم كقوله: "سألت يونس القسّ، وكان فاضلا، عن الكتب التي يفسّرونها ويعملون بها ممّا خرج باللّسان العربي فقال.."[34]"" أو "سالت رجلا من أفاظلهم عن ذلك فقال[53]". ولا يكتفي الرّجل بالأخذ عن الناس من الثقات كما في قوله: "أخبرني الثّقة"[63]. "وقال لي من أثق بحكايته"[73]، بل يحرص على تحديد الكُتب التي رآها بنفسه أوالتي يسمع عنها أوقرأ عنها، مثل قوله: "وهذا الكتاب رأيته". أو"رأيت بعضه ولم أره كاملا"" أوقرأت بخط أبي الحسين الخزاز..."[83] وما إلى ذلك من عبارات تنم عن ثقافاته وخبرته بالخطوط التي مكّنته من رسم خطوط الأمم، وجعلته يهتدي في أحيان كثيرة تاريخ

وزمن كتابة بعض النّسخ، كما في قوله:"قرأت في كتاب وقع إلى قديم النّسخ يشبه أن يكون من خزانة المأمون، ذكر ناقله فيه أسماء الصّحف..." [93].

المصدر الثالث: النّقل عن العلماء الثقات، ويمكن أن يكون هؤلاء من بعض أساتذته، كأبي سعيد السيرافي (المتوفى سنة 368هـ) وعلي بن هارون بن المُنجّم (ت 352هـ) أوأبي سليمان المنطقي وغيرهم. مثل نقله عن الأوّل بقوله "حدّثني أبوسعيد رحمه الله قال: حدثنا أبومُزاحم قال..."[04]. ثمّ "قرأت بخط أبي عبد الله محمد عن عبدوس الجهشياري في كتاب الوزراء تأليفه قال.."[14].

والعبارات التي تدّل على ذلك كثيرة, تكاد تشكّل جزءا مُهما من مصادركتاب الفهرست، ولعلّ نتيجة ذلك، بالاضافة إلى ثقافته وخبرته، هي التي مكّنته من الإلمام بمنهج ساهم بشكل حاسم في شرحه للعلوم القديمة والمذاهب والعقائد، ووصفها وصفا دقيقا.ومكّنه ذلك أيضا من وضع تعريفات للعلوم التي يحفل بها كتاب الفهرست[24].

– منهج "الفهرست: يبدأ ابن النّديم كتابه بمقدمة موجزة يحدّد فيها مجاله والإطار العام لكتابه ولعلمه، يقول فيها: "النفوس أطال الله بقاء السيّد الفاضل تشرئب إلى النتّائج دون المقدمات، وترتاح إلى الغرض المقصود، دون التّطويل في العبارات، فلذلك اقتصرنا على الكلمات في صدر كتابنا هذا، إن كانت دالّة على ما قصدناه في تأليفه إن شاء الله، فنقول وبالله نستعين وإياه نسأل الصّلاة على جميع أنبيائه وعباده المخلصين في طاعته، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

هذا فهرست كتب جميع الأمم، من العرب والعجم، الموجود منها بلغة العرب وقلمها في أصناف العلوم وأخبار مصنّفيها، وطبقات مؤلّفيها، وأنسابهم، ومناقبهم ومثالبهم منذ ابتداء كل علم اخترُع إلى عصرنا هذا وهوسنة سبع وسبعين وثلاثمائة للهجرة.."[43]

ورغم هذا الاختصار الشدّيد غير المعهود في كتب التراث العربي الإسلامي، فإنّ الباحث قد يستشف منه دوافعه لتأليف الكتاب، ومنهجهم والإطار العام، الزمني الثقافي. أمّا ما يذكره في هذه المقدمة ويمكن أن يلقي الضوء أكثر على منهجه، فهومبثوث في ثنايا الكتاب، مثل قوله في الفن الثاني من المقالة الرّابعة: "قد قلنا في أوّل هذه المقالة أنّا لا نستحسن أن نطبق الشعراء لأنه قد تقدمنا من العلماء والأدباء من فعل ذلك، وإنّما غرضنا أن نورد أسماء

الشّعراء ومقدار حجم كل شاعر منهم، سيما المُحدَثين والتّفاوت الذي يقع في أشعارهم، ليعرف الذي يريد جمع الكتب والأشعار ذلك، ويكون على بصيرة منه"[44]

وإن كان ما يقوله ابن النديم، يشير إلى الشّعر والشّعراء، فمن الجائز أيضا أن ينطبق على كل الفنون والعلوم التي يحتويها كتابه، بل إنه قد يشمل كل ماله علاقة بذلك من كتب، بالمعنى المادي للكلمة، ووسائطها مثل الأقلام والخطوط. وبذلك جعل ابن النديم مصنّفَه موسوعة بيليوغرافية مختصرة ذات بُعد بيبليولوجي (أي كل ما للكتاب من خصائص، من تأليف ونسخ ونشر)[45]. وهوالبعد الذي أملته عليه وظيفته في الوراقة، وعلى أساسه، كان العنوان الذي أعطاه للكتاب[46] بمعنى أن مؤلّف الفهرست، وهويحدّد وضع فهرست شامل لكتب جميع الأمم، يهتم أيضا بالمصنّفات ذاتها من ناحية النّسخ والكتابة، أي النّشر بالمعنى المعاصر للكلمة. وبصفته وراقا يعمل في بيع الكتب، يُسجّل ويحصُر ما في السوق من الكتب بصفة عامة، والكتب الرائجة بصفة خاصة. فلذلك نجده لا يهتم كثيرا بالمُصنّفين أنفسهم– على الرّغم من تحديده لذلك في مقدّمته– فتراجم هؤلاء، قد تطول في بعض الأحيان، وتضم معلومات قَيّمة، ولكنّها كثيرا ما تكون موجزة في غاية الإيجاز. ثمّ إنّ أسلوبه في الكتابة لا يوحي بأننا أمام عالم من علماء عصره، بل أمام ورّاق مثقّف، لم يُخلّف من الكتُب، عدا الفهرست، غير كتاب واحد، ذكره هوبنفسه في الفنّ الأوّل من المقالة الأولى في ختام كلامه عن فضائل الكتب حين قال: "..قد استقصيت هذا المعنى وغيره ممّا يُجانسه في مقالة الكتابة وأدواتها من الكتاب الذي ألّفته في الأوصاف والتشبيهات.."[47] غير أن هذا الكتاب مجهول لدى جمهرة المهتمين بالتراث الإسلامي، ويوحي عنوانه أنّه يصُبّ أيضا في باب الكتابة عن الكتب..

ويتضح منهجه أوالغاية من تأليف كتاب الفهرست، أنّه– وبحكم اشتغاله بميدان الوراقة أيضا– بعد ذكر "المترجم لهم"، (وإن كان الهدف ليس الترجمة في حد ذاتها) يذكر عناوين الكتب، وعدد المجلدات والفصول والأبواب، والأوراق وعددها وحجمها، وطُرق النّسخ: اختلافها وخطوطها. ويذكر في أحيان كثيرة بما يبدأ به الجزء وبماذا ينتهي، فنراه يقول مثلا عمّا كتبه المدائني (أبوالحسن بن محمد بن عبد الله المتوفى سنة 255هـ): "..وزعم أبوالحسن بن الكوفي: أنّها (أي كتاب المعازي) عنده في ثمانية أجزاء جلود بخط عبّاس النّاسي، وزعم تحت هذا الفصل، وأخرى في جزأين، تأليف أحمد بن الحارث الخزّاز..)[48]

ويقول عند سرده لكتب ابن قتيبة: "وله من الكتب (..) كتاب الثّقفية.هذا الكتاب رأيت منه ثلاثة أجزاء نحوستمائة ورقة بخط نزك، وكانت تنقص على التقريب جزأين، وسألت عن هذا الكتاب جماعة من أهل الخط، فزعموا أنه موجود وهوأكبر من كتاب البندنيجي وأحسن.."[49]

ويذهب مؤلف الفهرست إلى أبعد من ذلك، نحوإعطاء وجهة نظره كما هوواضح في المثال الأخير، ثم يهتم اهتماما كبيرا بتحقيق نسبة الكتب إلى مؤلفيها، والتّعريف بالعائلات ذات الشأن في ميدان الأدب أوالسياسة أوالفن، كما في ترجمته لبعض أفراد اليزيدين، وآل المُنجّم وآل الجرّاح، وآل رزين وآل الموصلي.

وإذا كان كتاب الفهرست عظيما في سرده للحركة العلمية والثقافية في العالم الإسلامي، مبتكرا في طريقة معالجته لقضايا الكتاب في عصره، فإن ذلك، لم يشفع في وقوع الكاتب في بعض الهفوات والهنّات، بحيث كان اهتمامه منصبّا بصفة خاصة على قلب المملكة الإسلامية: العراق والجزيرة وفارس، أمّا سائر الأصقاع ولا سيّما الأطراف، فكانت معلوماته عنها متفاوتة ضئيلة أوجزئية ناقصة على العموم، فنرى كتابه خاليا من الأخبار عن الأندلس وأدبائها وعلمائها.."[50] بالإضافة إلى جملة أخرى من النقائص، مثل نسبة بعض الكتب إلى غير أصحابها، وذكر جزء وإسقاط جزء آخر للمؤلف الواحد..إلى غير ذلك من الهفوات، التي– ربّما تعود إلى أن ابن النديم كان ينوي العودة إلى نسخته لوضعها في صورتها النهائية، فتعجّلته المنية عن ذلك، أوإن ما وصل من الفهرست من المخطوطات، وطبعاتها المختلفة المبنية عليها، ليس سوى المُسوّدة فقط للكتاب، ولم تصل المُبيّضة أوالنسخة النهائية منه[51].

ويذهب إلى هذا الاعتقاد أيضا، شعبان خليفة، أحد المحقّقين العديدين لكتاب الفهرست؛ الّذي يقول "ربما قد قصّر النسخة النهائية على المكتبة الرسمية في الدولة، وهوأمر كان شائعا متاحا في الدولة الإسلامية في تلك القرون، أي أن المؤلف يعدُّ كتابه للاستخدام الرّسمي بمكتبة الدولة أوالإمارة، ولا يتيحه في السوق العامة.."[52] ومبنى هذا الاعتقاد، ما ذكره ابن النّديم عن كتابه حيث ورد في نهاية المقالة الأولى، الفن الثالث "هذا آخر ما صنّفناه من المقالة الأولى من كتاب الفهرست، إلى يوم السبت مستهل شهر شعبان سنة سبع وسبعين وثلاثمائة. ونسأل الله البقاء لمن صنّفناه له ولنا في عافية وأمن وكفاية.."[53] ثم قوله: "ونسأل الله البقاء لمن صنّفنا له ولنا في عافية وأمن وكفاية."[54]

ولمّا يتّجه صوب هذه الفرضية، أنّ بالكتاب كثيرا من الأماكن الشاغرة، والتّراجم الجزئية وقوائم كتب مؤقتة. وهوالأمر الّذي يوحي بأنّ ابن النّديم، قد ترك ذلك إلى حين البحث عن المعلومات الخاصة بذلك الشاعر أواللّغوي أوسواهما..

الهوامش والتذييلات:

1– ترجع أولى المحاولات في ذلك إلى ما قام به بفرنسا , الأب ريف ABBE JEAN JOSEPHE RIVE , حينما نشر قائمة مطولة للكتب والمخطوطات التي تحصل عليها بعد بحث مضني عنها بين الفهارس والمكتبات, وأطلق عليها إسم: " MANUSCRITS ET CHRONIQUE LITTERAIRE DES OUVRAGES IMPRIMES, أوما يمكن ترجمته إلى " أخبار أدبية عن المؤلفات المطبوعة والمخطوطة " وكان ذلك في سنة **1790** . وهوالتاريخ الذي يرجح أنه كان بداية ظهور واستخدام لمصطلحي: " البيبليوغرافيا والبيبليولوجيا , بحيث استخدمهما هذا الأخير بشكل ملفت النظر ,وأعطاهما المفاهيم والدلالات الخاصة بهما.

ثم يأتي بعد ريف, فرنسي آخر يدعى "إيتيان غابريال بينيو"(**1767–1849**) **Etienne Gabriel Peignot** الذي أصدر في سنة **1802** دراسة حول " البليوغرافيا" تحت عنوان "القاموس المصنف في علم الكتاب " وكان ذلك في مجلدين ضخمين قدم فيهما تحليلا وافيا عن هذا العلم الجديد ومصطلحاته لكنه على خلاف سابقه خلع على الدراسة طابعا معرفيا متميزا, حاول من خلاله ربط نشأة العلم بالأطر التاريخية والفكرية التي حكمت سير الثقافة الأوروبية قبل وبعد الثورة الفرنسية (**1789**).وفي سنة **1804** أصدر المجلد الثالث الذي هوبمثابة التذييل، الذي استدرك فيه بعض الأعمال والمؤلفات والشروحات حول ذلك.

ويتميز "بينيو" **Peignot** عن غيره من الباحثين في المجال البيليوغرافي في أنه كان يمثل ذلك المثقف الأوروبي الذي تشرب ثقافة عصر الأنوار واتخذ من الموسوعية سبيلا للغوص في مجال الوثائق، باعتبارها أوعية معلومات تحتاج إلى منهج علمي من مهامه: صقل المصطلحات والمفاهيم، وتأسيس العلم وقضاياه.

ولقد كان لإشتغاله بالمحاماة، ثم مفتش أكاديمية، وأمين مكتبة كبرى بعد ذلك دوره الحاسم في نظرته الثاقبة حول هذا ا لعلم و حدوده المعرفية، بالإضافة إلى معايشته لظاهرةمن أعجب الظواهر التي أفرزتها الثورة الفرنسية، و هي ظاهرة تجميع الكتب والمخطوطات، وإنتاج الطباعات الفاخرة، وإتساع رقعة المقروئية بعد أن انتهجت الدولة سياسة تعميم استعمال الطباعة، منطلقة في ذلك من مبادئ ومثل ثورة **1789**. هذا بالإضافة إلى ما قامت به هذه الثورة من تأمين لممتلكات الطوائف الدينية والجامعات والقصور الملكية على إختلاف درجاتها والإستحواذ فيما بعد على كتب ومخطوطات ومقتنيات من تحف ولوحات فنية، من المكتبات والمتاحف الأجنبية التي وطئتها جيوش نابليون في النمسا والمجر وغيرهما , وجيوش الإحتلال الفرنسية لدول مثل الجزائر وغيرها..

2– بناء على" قانون الحالات الثلاث" الذي هوصلب نظرية كونت الوضعية، تبدأ جميع أفكارنا بأن تكون لاهوتية، وتمر بمرحلة الانتقال الميتافيزيقية، وتنتهي بأن تصير وضعية، أي علمية. ولقد وردت نظريته هذه ضمن المؤلفات التي كتبها" كونت" خلال القرن التاسع عشر، ومن أهمها "دروس في الفلسفة الوضعية " التي استغرق تأليفها من سنة **1830**–إلى**1842** , وتقع في ستة مجلدات ...

ينطلق هذا الباحث البيبليوغرافي البلجيكي من مفهوم مبسط لعملية تكون العلم ونموه عند "كونت" ليخرج بعده بتصور يمكن تطبيقه على ميدان الكتاب وتشكل هذا النوع من المصادر:

أ – تشكل الظاهرة أو الظاهرات الاجتماعية. والعلم عند كونت ظاهرة اجتماعية أول، ا

تحكمها قوانين، وينتجها الجميع بدون استثناء، ويكمن هذا الأمر في "الملاحظة" باعتبارها أول أداة منهجية اكتسبها الإنسان في رحلته "العلمية".

ب – وتتضمن هذه المرحلة، تسجيل الظاهرة أي الكتابة = Graphie ويمكن أن تدوم زمنا طـــــويلا.

ج – ثم تأتي المرحلة الثالثة والأخيرة التي يستطيع الإنسان (الكاهن، العالم، أو النبيه بتعبير البازجي) من إتخاذ العقل وسيلة لفهم هذه الظاهرة والخروج بقانون. وتتميز هذه المرحلة بالعلمية والتفكير العلمي (Logie –Logos

3– ليس بين المصدر والمرجع مسافة لغوية، إذ أنهما يشتركان من حيث الدّلالة في المنبع, غير أن الأول أخص من الثاني من حيث إرتباطه بالأشياء الأساسية. ويأتي هذا المصطلح الحديث من الترجمة الأجنبية لكلمة SOURCE. ويعني المصدر مثلا في علـــم الحديث كتب الأحاديث نفسها، وفي التاريخ الأعمال التي عايش كتابها الأحداث أواعتمدوا فيها على الوثـــائق ماديـــة كانـــت أوشفوية..أما المرجع الذي تقابله لفظة REFERENCE فهوالدراسة التي تعالج موضوعا ما بالاعتماد على المصدر.

4– راجع ذلك في الفصل الخاص بتصنيف المعرفة عند المسلمين.

5– إبراهيم الأبياري، "الفهرست، لابن النديم" في تراث الإنسانية، مجلد 3، ع1، لسنة 1966، ص195

6– ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج2، ص315.

7– المقري(محمد بن أحمد)، نفح الطيب، ج1، ص385، (في ترجمته للحكم المستنصر المتوفى سنة 366ه)

8– المقدسي(محمد بن أحمد) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص 449. ويذكر المقدسي أن سابور بن اردشير، الذي كان أحد وزرائهم، كان قد أنشأ دار علم في حيّ الكرخ ببغداد عام 383هـ ووقفها على أهله ونقل إليها كتبا كثيرة ابتاعها وجمعها وعمل لها فهرسا..."

9– ابن النّديم ,الفهرستوج1,ص.315 (وممّن ذكرهم:أبوبكر محمد بن هاشم الذي اشتهر بجمع الكتب.والحسن بن نوبختالّـــذي توفي قبل300ه..)

10–المصدر السابق,ج1,ص.699.

11– المصدر ,ج1 ص 707.

12– هوأبوبكر محمد بن زكريا.فيلسوف ,من أئمة في صناعة الطّب (251–313هـــ)

13–.ابن النّديم، المصدر، ص 598.

14–هوحسب الزركلي في العلام، ج4، ص68، "عبد الله بن أحمد بن موسى بن زياد العسكري الجواليقي (216–306ه).

15–المصدر السابق، ص389.ولم ينس ابن النديم أن يذكر أن عبدان هدا، هواكثر الجماعة كتبا وتصنيفا، والكتب التي يـــضمنها فهرسته، إنما هي (الموجودة والمتداولة، والباقي في الفهرست فقل ما رأيناه أوبررنا انه رآه) وهدا يوضـــح أن جـــزءا ممـــا نقـــل في الفهرست كان ممنوحا جاهزا.

16– فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي، مج1، ج2، ص 292.

–المصدر السابق، ص389.ولم ينس ابن النديم أن يذكر أن عبدان هدا، هواكثر الجماعة كتبا وتصنيفا، والكتب الـــتي يـــضمنها فهرسته، إنما هي (الموجودة والمتداولة، والباقي في الفهرست فقل ما رأيناه أوبررنا انه رآه) وهدا يوضـــح أن جـــزءا ممـــا نقـــل في الفهرست كان ممنوحا جاهزا.

17–ابراهيم الأبياري، المرجع السابق، ص195.

18–خضع البحث عن تاريخ ولادته ووفاته إلى بعض التحليلات والاستنتاجات الذهنية عن كتابه الفهرست: ولذلك يرجّح أنـــه ولد في سنة 320ه. امّا بخصوص تاريخ وفاته فيؤكد الدارسون وبناء على ورود ذلك في الفهرست ذاته، أنه توفي ببغداد بعد ســـنة 377، تاريخ كتابته للفهرست.

19–القفطي (علي بن يوسف)، إنباه الرواة على أنباه النحاه، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، ج1، ص42.

20– ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج6، ص409.

21–الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، 380–400، ص399، (كما ذكره الصفدي في الوافي بالوفيات، وابن النجّار، صاحب ذيل تاريخ بغداد، لكنهما لم يكونا أكرم من سابقيهما..)

22– ابن حجر العسقلاني(شهاب الدين أحمد بن علي)، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، بيروت: دار الكتب العلمية–1996، ج5، ص80. ثم يقول قبل هذا، (قلت: وهوغير موثوق به، ومصنفه المذكور ينادي على من صنفه بالاعتزال والزيغ، نسأل الله السلامة.(...) ورأيت في الفهرست موضعا ذكر أنه كتب في سنة اثنتي عشر وأربعمائة.."نفس الصفحة..

23-G.W.Fuch-IBN NADIM,in Encyclopédie de l`ISLAM leiden-paris: G.P.maisoneuve et larouse. 1991 TOME 3 p919-920.

24– مصطفى الشويمي، مقدمة كتاب الفهرست. تونس: دار التونسية للنشر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985، ج1، ص9.

25–عن تسميته بابن النديم أوالنّديم، نجد أن القفطي يسميه دائما "محمد بن إسحاق النّديم" في تاريخ الحكماء، ولكنه في إنباه الرواة يسميه ابن النديم، وياقوت, في معجم الأدباء يسمّيه في الغالب بالنّديم وقلّما يسميه بابن النديم، وابن أبي أصيبعة، يسميه تارة ابن النديم وتارة أخرى النّديم، وابن خلكان، في وفيات الأعيان، أطلق عليه مرارا النّديم، وابن النّديم على حدّ سواء. أمّا ابن حجر العسقلاني فترجم له في لسان الميزان تحت تسمية النّديم.أمّا بالنسبة للمتأخرين من المستشرقين، فقد سمّوه في الغالب ابن النديم (فلوجل)، ودائرة المعارف الإسلامية. ومن المحققين من أمثال مصطفى الشويمي، فقد سمّاه "النديم"، وفي "المقدمة" جعل أباه هوالنّديم، كما في قوله:"ولا نعرف عن أسرة هذا الرجل اللهم إلاّ أن أباه كان يلقب بالنديم وإن كنّا لا ندري من نادم من الخلفاء." ص10.

26– كما قام بذلك شعبان عبد العزيز خليفة، حيث قال:"..لم يثبت لنا من أي نصّ من النصوص الفهرست أنه كان متعصبا للشيعة أومتعصبا لعلي بن أبي طالب ولم يكتب عن الشيعة والسبب في تسميتهم بهذا الاسم سوى بضعة أسطر.."أنظر مقدمته لكتاب الفهرست، ص13.

27–ابن النديم، الفهرست، ص454.

28–المصدر، ص53. ، ص163.، ص172.

29– آدم ميتز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج1، ص110.ويذكر ابن النديم ذاته أن أبا بكر الصّولي المتوفى عام 330ه، اضطر أن يستتر في البصرة حتى مات "لأنه روى خبرا في علي عليه السلام، فطلبته الخاصة والعامة لتقتله." المصدر،ص 276.

30– هاملتن جبّ، دراسات في حضارة الإسلام، ص23. [1]

31– وهذا يؤدي بنا إلى القول بأن علماء كثيرين كانوا ورّاقين؛ مثل مالك بن دينار المحدّث الزّاهد (المتوفى سنة 131ه) والإمام أحمد بن حنبل (ت:241ه) وأحمد بن طيفور الأديب المؤرخ (ت:280ه)، ويحيى بن عدي المنطقي الشهير (ت:364ه). والقاضي والنحوي أبي السعيد السيرافي (ت:368)..إذ أن الوراقة، كما سبقت الإشارة إلى ذلك لم تكن من أجل بيع الورق أوالاستنساخ فقط، بل كانت نوادي علمية وفكرية يرتادها العلماء والمفكرون والطلبة من أجل الإحاطة بما يتواتر من فكر وإبداع على الساحة الثقافية..

32–ابن النديم، الفهرست، ص25–26.(وذلك عدا الكتب المشهورة).

33–ابن النديم، الفهرست، ص35.

34–ابن النديم، الفهرست، ص34.

35– الفهرست، ص29.

36– الفهرست، ص31.

37–ابن النديم، الفهرست، ج1,ص71–72.

38–ابن النديم، الفهرست، ج1 ص33.

39–المصدر، ج1 ص69.

40–المصدر، ج1 ص23 و83.

41– المصدر، ج1، ص5.

42–المصدر، ج1، ص294.

43–الفهرست، هوالاسم الذي أطلقه المؤلف على كتابه، وهوفي الأصل:"فهرس"، في القاموس بالكسر، (وهو) الذي يجمع فيه الكتب. يقول حاجي خليفة، هو:معرّب، وفي التهذيب زيادة الأسامي حيث قال يجمع فيه أسامي الكتب.قال (أبومنصور الأزهري صاحب تهذيب اللغة) هومعرب دخيل وزنه فعلل. وفي بحر الغرائب هوالقانون والظابطة الإجمالية التي تكتب في أوائل الكتب حتى يعلم فيها أنها كم بابا، وقد يطلق على أوّل الكتاب، وفي ديوان الأدب، مقسّم الماء على وزن فعلل، يونانية فعربوه واستعملوه في مُجمّع الأبواب، والتاء فيه غلط فاحش. كشف الظنون عن أسام الكتب والفنون، ج2، ص1303.وربما يبكون هذا الشرح هوالسبب وراء ذكر حاجي خليفة لمؤلّف ابن النديم تحت اسم فهرس العلوم؛ ويذكر فهرسا آخر بنفس العنوان، لحافظ الدين محمد العجمي المتوفى سنة1055 ه..

44–ابن النديم، المصدر، ج1، ص22.

45 –شعبان عبد العزيز خليفة، مقدمة كتاب الفهرست. ج1، ص30.

46–ابن النديم، المصدر السابق، ص64.

47–المصدر، ص153.(لقد جرت العادة عند الكتاب المسلمين آنذاك، تأليف كتاب لشخص معين أووضعه في خزانة، بل وإطلاق التسمية في بعض الحالات، على الكتاب مثلما عمد إلى ذلك، ابن فارس مع كتابه"الصاحبي في فقه اللغة" آذي نسبه إلى الصّاحب بن تباد..).

48– مصطفى الشويمي، المصدر السابق، ص22.

49–قام ابن قتيبة في عيون الأخبار، وابن سلام في فحول الشعراء بنفس المنحى في التقسيم. إذ أن تقسيم عيون الأخبار كان على عشر، وتقسيم فحول الشعراءأيضا، فهوفي جزأين كبيرين، الأول خاص بالشعراء الجاهليين؛ والثاني بالإسلاميين، لكن كل قسم يشمل على عشر طبقات.

51 –يرجّح مصطفى الشويمي، (وهوالأمر الذي يؤكد على بُعد نظر ابن النديم وأهمية مؤلفه من الناحية المعرفية) ان ابن النديم لم يفكّر في ابداية الآفي وضع فهرست كتب العلوم القديمة من تصانيف اليونان والفرس.. غير أنه، تبيّن له عقب ذلك، أن كتابه لن يكون تاما ولن يحظى بالقبول العام إلاّ اذا جمع بين دفتيه كل العلوم والفنون التي عُرفت عند المسلمين.. المرجع السابق، ص21.

51– المصدر، ج1، ص72.

52–المصدر السابق، ج1، ص109.

53– المصدر السابق، ج1، ص266.

54– بيارد دودج، "حياة ابن النديم" ترجمة أ.ج. شوريز. مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج45، ج3، يوليومن سنة 1970، ص545.

تاريخ وتراث